

اسم المادة: أدب عيادة المريض

من سلسلة: على هدي النبي - شرح كتاب صحيح الأدب المفرد

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

Way2allah.com

way2allahcom

اسم المادة: أدب عيادة المريض
من سلسلة: على هدي النبي - شرح كتاب صحيح الأدب المفرد
لفضيلة الشيخ: أحمد جلال



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أهلًا وسهلًا ومرحبًا بإخواني وأخواتي وأهلي وأحبابي، وأسأل الله –سبحانه وتعالى–، الذي جمعني وإياكم في هذه الساعة المباركة على طاعته، أن يجمعني وإياكم في جنته ودار كرامته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا. وبعد:

نكمل بإذن الله –تبارك وتعالى– ما بدأناه من شرح كتاب "الأدب المفرد" للإمام الرباني محمد بن إسماعيل البخاري –رحمة الله عليه–.

رسالة الشيخ النهاردة موجهة لكل مريض، وكل من يحيطون بهذا المريض.

أدب الإسلام لم يتوقف على حال دون حال، أو شخص دون شخص، أو وقت أو مكان دون وقت أو مكان، ولكن دايمًا أدب الإسلام موجه لكل موقف من المواقف التي تصيب الإنسان في أي شيء من أمور حياته، –سبحان الله–! حتى عند المرض، جعل النبي –صلى الله عليه وسلم– للمرض آداب، وجعل لعائد المريض آداب، وهذه الآداب الإنسان مننا فعلًا لما يببص لها النهاردة، بيجد بالفعل إن فعلًا مبتحدثش أبدًا مشكلة من المشاكل إلا إذا كانت بسبب تضييع الناس لأدب من الآداب.

أذكر مثلًا في مرة من المرات كنت ابتليت كدا ببلاء شديد، كنت أصبت بالعصب السابع، وكما تعلمون العصب السابع ده أصلًا البق فيه بيتعوج تمامًا، والنص الأيمن من الوجه خلاص يعني، وعوجة البق دي أنا مكنتش بعرف أتكلم، وفوجئت يعني إن مجموعة من الشباب جايين يزوروني، بعدهم جالي اتنين من جيراني جم يزوروني، هما عارفين طبعًا إن كلامي بسيط، فالمفترض تكون الزيارة على الأد، ففوجئت إن هما جايين يناقشوني في بعض الأمور الدعوية اللي هي كبيرة جدًا، وبعض المسائل الفقهية، وبعض الأحاديث، المهم قعدت الجلسة قرابة التلت ساعات، وفي كل مرة أقول لهم: طب معلش بس علشان أنا بقي واجعني شوية هقولكم أهوه، طب معلش أنا مفترض أريح بقي شوية علشان أبدأ أتكلم تاني، فالمهم حاولت بقدر المستطاع كدا بخُلُق إن أنا أوصل لهم رسالة إن أنا فعلًا مش قادر أتكلم، إلا إن هما قعدوا تلت ساعات كاملة، لحد ما جه زارني أخ من إخواننا الأحباب، فقلت له معلش وصل لهم رسالة أنا فعلًا معدتش قادر أتكلم، أنا تعبان، –سبحان الله– طالت الزيارة جدًّا، حمّلوا المريض فوق طاقته، وده إنما غاب عنهم بسبب إن أحنا غبنا عنهم، يعني ده غاب عن الناس لأن إحنا كدعاة إلى الله –عز وجل–، غيّبنا عنهم هذه الآداب، وهذه التعاليم.



آداب المريض؛ بدأ الشيخ أول باب من الأبواب فيما يتعلق بفضل المرض، وذكر في ذلك عدة أحاديث، منها: أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ"[1].
وقال –صلى الله عليه وسلم–: "لا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في جسدِه ومالِه ونفسِه حتَّى يلقى اللهَ وما عليه مِن خطيئةٍ"[2].

نلحظ الآن من هذه الأحاديث اللي الشيخ ذكرها، أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرحمه رحمة واسعة، إنه ذكر فيها أن المرض إنما يكون كفارة للعبد المؤمن، كفارة لذنوبه، كفارة لخطاياه، كفارة للآثام التي وقع فيها، ولذا عدّ هذه الأحاديث من أحاديث فضل المرض.
الأحاديث المتعلقة أيضًا بفضل المرض –المتعلقة بالكفارة– يلخصها قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وصبُ المؤمنِ كفارةٌ لخطاياه"[3]، وده من جوامع الكلم للنبي –صلى الله عليه وسلم–، يعني الوصب اللي هو المرض، أو التعب، أو العناء، أو المشقة، أو الشدة، التي يلقاها الإنسان المسلم بسبب مرضه، إنما هي كفارة له، وكفارة لذنوبه.
وعندنا حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "قال ربنا –تبارك وتعالى– إذا مرض العبد قال ربنا لملائكته: أنا قيدت عبدي –فعلًا المريض بيقيد، بيبقى عايز ينزل يصلي في المسجد وهوا مش قادر يصلي، أو عنده مشكلة في الركب، عنده خشونة في ركب، عايز يسجد مش قادر، فهو فعلًا قُيِّد– أنا قيدت عبدي، ولعبدي عندي عهد، إن أعافيه" –إذا ربنا تم ليه الشفاء– "أزره يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة"، –هي دي مرحلة الكفارة– "وإن أقبضه أدخله الجنة"[4].
المسألة مش مسألة كفَّارة، ولا دخول الجنة، لا لا، ده مش في أي جنة! ده في أعلى درجات، قال –صلى الله عليه وسلم–: "إنَّ الرجلَ ليكون له عند اللهِ المنزلةُ، فما يبلغُها بعملٍ، فلا يزال اللهُ يبتلِيه بما يكره يُبَلِّغُه إياها"[5].

وصدق فعلًا الإمام أحمد بن حنبل –رحمة الله عليه–، لما كان يقول: والله لولا البلاء، لأتينا الآخرة مفاليس.
كذلك أيضًا من الأحاديث اللي الشيخ ذكرها، ودي نقطة مهمة جدًّا، ممكن حد يطرح سؤال، تقول لي: يعني دلوقتي ربنا هو بيقول للملائكة: "أنا قيدت عبدي"، والعبد ما عادش قادر النهاردة يعمل صالحًا، وبالتالي دي بتسبب نفسية صعبة قوي للمريض، يعني أعرف أحد آبائنا الكرام، رحت أزوره كان عنده مشكلة في رجليه، رحت أزوره، فبكى بكاء شديد جدًّا، فلما سألته أنت ليه بتبكي هذا البكاء الشديد؟ قال لي: والله أنا مش ببكي عشان الألم، ولكن أبكي لأن أنا مش قادر أسجد زي ما كنت بسجد قبل كده، أنا نفسي أحط جبهتي تاني في الأرض لله –سبحانه وتعالى–، دي كانت أعظم أمنية له.
أعرف أحد إخوانا كان مبتلى بشلل، وكان أعظم أمنية له إنه يسجد لله –سبحانه وتعالى–، نفسه يسجد! لدرجة إن إحنا لما حاولنا بعد كده إن إحنا نخليه يسجد، كنا ستة، اثنين شايلينه من الكتفين، اثنين شايلين من الوسط، اثنين شايلين من رجليه، وواحد ماسك دماغه عشان يعرف يسجد.
في الوقت ده الإنسان المريض لما بيستشعر إن هو ماعدش قادر يسجد، أو قادر يعبد ربنا كما كان، كان الأول بيصوم، دلوقتي ما عدش عارف يصوم، كانت الأول بتصوم دلوقتي مش قادرة تصوم، فبيصيبها هم شديد جدًّا.

---

[1] صحيح البخاري
[2] صحيح ابن حبان
[3] صحيح الجامع
[4] روايات الحديث هنـــا
[5] السلسلة الصحيحة للألباني



بعض الأخوات مثلًا في رمضان، في العشر الأواخر من رمضان، ممكن مثلًا تصاب مثلا بفترة العذر الشهري، أو فترة الدورة الشهرية، فتندم جدًّا، وتحزن جدًّا وتزعل جدًّا، لأن فاتها العمل الصالح في هذه الأيام، ولكن مما يداوي قلب الإنسان في هذه الأحوال، وفي هذه الفترات، ما ذكره الشيخ في باب قال: "باب يكتب للمريض ما كان يعمل وهو صحيح".

الإنسان مننا لو في يوم من الأيام وهو صحيح حريص على قيام الليل، وحريص على الصيام، وحريص على قراءة القرآن، وحريص على كذا، وكذا، وكذا، وكذا، ثم بعد ذلك مرض، فحال المرض بينه وبين ما كان يصنع، فالإنسان يندم، ويزعل، النبي –صلى الله عليه وسلم– علمنا، إن الإنسان مننا لو في يوم من الأيام مَرِض، يكتب الله –سبحانه وتعالى– له كل ما كان يصنعه قبل ذلك صحيحًا سليمًا، صيام خدت أجر الصيام كامل زي ما كنت بتصوم قبل كده، الصلاة خدت أجرها كامل زي ما كنت بتصلي قبل كده.

وذكر الشيخ في ذلك عدة أحاديث، وفيها: قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "ما مِنْ أحَدْ يمرَضْ، إلا كَتَبَ الله لَه مثل ما كان يَعْمَل وهو صَحِيح".

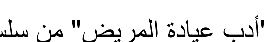
وفي رواية حديث أنس: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ ابْتَلَاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ إِلَّا كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي صِحَّتِهِ، مَا كَانَ مَرِيضًا"، طول ما هو مريض ربنا –سبحانه وتعالى– يكتب له في وقت مرضه كل ما كان يصنعه صحيحًا سليمًا، فَإِنْ عَافَاهُ –أُرَاهُ قَالَ: غَسَلَهُ– عافاه يعني: أصبح سليم، غسَّله بمعنى طهَّره من الذنوب والخطايا، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ"، –سبحان الله–! هذا كله يدلُّ على عظيم الأجر المتعلق المرض.

الشيخ بعد ذلك طرح علينا سؤال وحط، عليه عدة أبواب، فقال الشيخ –رحمة الله عليه رحمة واسعة–، السؤال اللي أنا بطرحه على الشيخ: لمن تكون العيادة؟ هل هذه العيادة لكبار السن ولا للصغار؟ هل هذه العيادة للطائع والعاصي؟ هل هذه العيادة للمسلم والكافر؟ ولَّا هذه العيادة تطلق على من؟

هذه العيادة أحبابي تطلق لكل الخلق، هذه العيادة تكون لكل الخلق، فالله –سبحانه وتعالى– حثنا، ونبينا –صلى الله عليه وسلم– حثنا على زيارة كل الخلق، زيارة جميع البشر، لذا قال الشيخ: "باب عيادة الصبيان"، مش معنى إن ابن صاحبي تعبان إن أنا مروحش أزوره وهو مش صاحبي، بس هو ابنه، عيل صغير، معقول ممكن نروح نزور عيل صغير! فالشيخ قال: "باب عيادة الصبيان" وذكر فيه حديث عن أسامة بن زيد، أن صبيًّا لابنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ثَقُل، فبعثت أمه إلى النبي الله –صلى الله عليه وسلم–: إن ولدي في الموت، فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم–: "اذهبْ، فقل لها: إنَّ لله ما أخذَ وله ما أَعطى، وكلُّ شيءٍ عنده إلى أجلٍ مسمًّى، فلْتصبِرْ ولتحتسبْ"، فرجع الرسول فأخبرها، فبعثت إليه تقسم عليه لما جاء، فقام –صلى الله عليه وسلم– في نفر من أصحابه، منهم سعد بن عبادة، فأخذ النبي الصبي، فوضعه على صدره، فدمعت عينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فقال سعد: أتبكي وأنت رسول الله، فقال: "إنما أبكي رحمةً لها، إنَّ اللهَ لا يَرحَمُ من عبادِه إلا الرُّحَماءَ". فهنا واضح جدًّا إن العيادة ماكانتش لواحد كبير، دا العيادة كانت لواحد صبي.

مش كدا وبس، بل الشيخ كمان قال لنا: إن العيادة بتكون كمان للأعراب، يعني بعض الناس بتقول لك إيه: أصل الأعراب دول ناس! لا لا، خالص، ده مسلم يبقى يُعَاد، لحديث ابن عباس –رضي الله عنه–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دخل على أعرابي يعوده، قال: "لا بَأْسَ عَلَيْكَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"[6].

–سبحان الله–، هذا هو الأعرابي، يبقى آدي عيادة الطفل الصغير، وآدي عيادة الأعرابي.


[6] صحيح البخاري



بل –سبحان الله–، الشيخ هنا ذكر باب عجيب جدًّا، فقال: "باب عيادة المشرك"، يعني المشرك الكافر، لا بأس أبدًا أن يُعَاد، حد يسأل: طب إحنا لو جنبنا ناس نصارى، أو مسيحيين، ممكن نعودهم؟ آه ممكن تَعُودهم، ممكن تذهب إليهم لتعودهم، ممكن اليهودي؟ ممكن اليهودي، وهذا ما صنعه رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، كما في حديث أنس: "أنَّ غُلامًا مِنَ اليهودِ كان يَخدُمُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فمَرِضَ، فأتاهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَعودُه وهو بالموتِ، –آدى يهودي، وطفل صغير، فقعد عند رأسه– فدَعاهُ إلى الإسلامِ، فنظَرَ الغُلامُ إلى أبيه وهو عِندَ رأسِه، فقال له أبوه: أَطِعْ أبا القاسمِ، فأسلَمَ، ثمَّ مات، فخرَجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن عِندِه وهو يقولُ: الحمدُ للهِ الذي أنقذَه بي مِنَ النارِ"[٧].

ولو نلاحظ الآن الناس اللي بتقول الإسلام عادى أصحاب الديانات، فبنقول لهم: في بر الوالدين، خدنا في بر الوالدين الأمر ببر الوالد والوالدة الكفرة، في صلة الأرحام: خدنا أثر عمر –رضي الله عنه– اللي كان بيصل أخاه الكافر، في باب الجار، وجدنا عبد الله بن عمرو بن العاص كان إذا ذبح شاة بدأ بصاحبه أو بجاره اليهودي، وفي عيادة المشرك، النبي –صلى الله عليه وسلم– كان يذهب لعيادة غير المسلمين، علشان بس نوضح للناس الأصول التي بنى الإسلام عليها هذا الدين.

طيب، يبقى كده خدنا عيادة صبي، عيادة الأعرابي، عيادة المشرك.

طب عيادة الفاسق، عيادة الفاسق عندنا لها صورتين، أما إذا كنت أنا هعود الفاسق اللي هو بيجاهر بمعصية، أو يصنع معصية معينة، من باب إن أنا أدعوه إلى الله، وأذكره، فالفاسق يعني يقينا أقل درجة من اليهود، وأقل درجة من المشركين، اللي الشيخ تكلم عنهم الآن، أما إذا كان الفاسق أو العاصي بيشوف زيارتنا له إقرارًا منا لما يصنع، فطبعًا هذه لا تجوز بحال من الأحوال.

الشيخ بعد ذلك تكلم أيضًا عن بعض الآداب المتعلقة بالمريض نفسه أثناء المرض، فالمريض نفسه أثناء المرض المفترض يكون له عدة آداب مع ربه –سبحانه وتعالى–، على رأس هذه الآداب إحسان الظن بالله –سبحانه وتعالى–، فلا يسيء الظن بربه، لا يقنط، ولا ييأس من رحمة الله –عز وجل–، بل ينبغي على المريض أنه دايمًا يكون حسن الظن بالله، كما قال –صلى الله عليه وسلم–: "أنا عندَ ظنِّ عبدي بي إنْ خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ"[٨]، فالمريض ينبغي عليه إنه يُحسن الظن بالله –سبحانه وتعالى–، ويجعل رجاءه وأمله في الشفاء عظيم جدًّا جدًّا، لقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "قال الله: أنا عندَ ظنِّ عبدي بي".

الأمر التاني: لا ييأس ولا يقنط، ماينفعش الإنسان المريض ييأس أو يقنط من رحمة الله –سبحانه وتعالى–، بل ينبغي عليه أنه يستبشر بهذا الخير الذي أعطاه الله له، فأشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون، فينبغي عليه أنه يرضى بقضاء الله، ولا ييأس أبدًا، لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "أكبَرُ الكبائرِ الإشراكُ باللهِ والإياسُ مِن رَوحِ اللهِ والقُنوطُ مِن رَحمةِ اللهِ والأمنُ من مكرِ اللهِ"[٩] فالقنوط من رحمة الله، واليأس من رحمة الله كبيرة من الكبائر.

الأمر التالت: هي مسألة الشكوى، مع إحسان الظن قضية إنه لا ييأس ولا يقنط، قضية مسألة الشكوى، شكوى المريض! هي شكوى المريض جائزة ولا غير جائزة؟

في البداية، الشيخ بيقول: "هل يكون قول المريض إني وجع شكاية؟" لو بيقول أنا تعبان، أنا جنبي يوجعني، هل دي شكاية؟ فذكر أثر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: دخلْتُ أنا وعبدُ اللهِ بْنُ الزُّبيرِ على أسماءَ قبلَ قَتْلِ عَبْدِ اللهِ بِعَشْرِ لَيالٍ وأَسْماءُ وجِعَةٌ فقال لها عبدُ اللهِ كَيْفَ

[٧] أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد
[٨] السلسلة الصحيحة للألباني
[٩] تفسير القرآن لابن كثير



تَجِدِينَك قالتْ: وجِعَةٌ –تعبانة، قالت: إني وجعة، إني في الموت، فقال: لعلك... إلى آخر الأثر، فالشاهد هنا: هو بيقول هي قالت: إني وجعة، فده دليل على جوازها.

وعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–، أنه دخل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهو موعوك، عليه قطيفة، فوضع يده على جبهة النبي –صلى الله عليه وسلم–، فوجد حرارتها، فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال سعيد: ما أشد حماك يا رسول الله؟ –الحمى اللي هي السخونية– فقال: "إنَّا كذلِكَ، يَشتدُّ علينَا البَلاءُ ويُضاعفُ لنَا الأجرُ –فالنبي يقول هنا: أنا تعبان جدًّا، تعب اثنين منكم– فقالَ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قالَ: الأنبياءُ ثمَّ الصَّالِحونَ، وقد كانَ أحدُهم يُبتلَى بالفَقرِ، حتَّى ما يجِدُ إلَّا العَباءَةَ يجُوبُها فيلْبَسُها، ويُبتلَى بالقُمَّلِ حتَّى يقتُلَه، ولأحدُهُم كانَ أشدَّ فرَحًا بالبَلاءِ، من أحدِكم بالعَطاءِ".

شكاية المريض إذا كان مريض الدكتور دخل عليه –ودا للأسف عدم فهم بعض الإخوة الملتزمين لنصوص الشريعة– يجيء له الدكتور يقول له ها أنت تعبان من إيه؟ يقول له الحمد لله يا دكتور، طب يعني الوجع فين؟ الحمد لله يا دكتور، طب يا ابني قل لي عشان أقدر أشخص المرض وأديك العلاج، الحمد لله يا دكتور، طب يا ابني كدا ليه، قال: أصل لا يجوز لي إن أنا أتشتكى، لا يا جماعة النبي –صلى الله عليه وسلم– قال أهو: "إنَّا كذلِكَ، يَشتدُّ علينَا البَلاءُ"، السيدة أسماء قالت: إني وجعة، أنا تعبانة، أنا تعبانة، إنما الشكوى اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– نهى عنها هي الشكوى التي فيها اعتراض وتسخط على قضاء الله، أنا تعبان بقى، كفاية كده بقى، دي الشكوى اللي هي بيراد من ورائها اللي هو التسخط على أقدار الله، التسخط بقضاء الله –سبحانه وتعالى–، ده اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– نهى عنه، وده اللي ربنا –عز وجل– جعل فيه أجرًا عظيمًا لمن لم يتشكى، وهو قول الله –سبحانه وتعالى– في الحديث القدسي: "إذا ابتليتُ عبدي المؤمنَ، فلم يَشكُني إلى عُوَّادِه أطلقتُه من إساري، ثم أبدلتُه لحمًا خيرًا من لحمِه، ودمًا خيرًا من دمِه، ثم يستأنِفُ العملَ"[10]. فمعنى الشكوى هنا اللي نهي عنها، هي الشكوى التي تكون على سبيل التسخط على قضاء الله –سبحانه وتعالى–.

ثم بعد ذلك الشيخ ذكر لينا باب يحثنا من خلاله بقى على إيه؟ على زيارة المريض، وذكر لينا فضل عيادة المريض.

فذكر في ذلك "باب عيادة المريض"، ذكر فيه: أولًا حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "مَنْ أصبحَ اليومَ مِنكمْ صائِمًا؟ قال أبو بكرٍ: أنا، قال: مَنْ عادَ مِنكمْ مَرِيضًا؟ قال أبو بكرٍ: أنا قال: مَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ اليومَ جَنازَةً؟ قال أبو بكرٍ: أنا، قال: مَنْ أَطْعَمَ اليومَ مِسْكِينًا؟ قال أبو بكرٍ: أنا، قال: ما اجتمعَ هذه الخِصالُ في رجلٍ في يَوْمٍ، إلَّا دخلَ الجنةَ"، فهنا بيقول لنا: إن من ضمن الخصال اللي توصل للجنة هي عيادة المريض.

وذكر أيضًا حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: يقول الله –سبحانه وتعالى– يوم القيامة لعباده وهو يحاسبهم، قال الله –سبحانه وتعالى–: "يا ابنَ آدمَ مَرِضتُ فلَم تَعُدْنِي، قال: يا ربِّ كيفَ أعودُكَ وأنتَ ربُّ العالمينَ؟ قال: أمَّا علمتَ أنَّ عبدي فلانًا مرِضَ فلَم تَعُدْهُ؟ أما علمتَ أنَّكَ لَو عُدْتَهُ لوجدتَني عندَهُ؟" معنى: "وجدت ذلك عندي"، أي: وجدت أجر زيارة هذا المريض عندي يوم القيامة، أو: "وجدتني عنده" أي بركة وجود الإنسان في مكان فيه معية الله –سبحانه وتعالى– برحماته –سبحانه وتعالى–.

كذلك أيضًا الشيخ قال لنا: إن عيادة المريض يا جماعة ليست شيء يعني مستحب، ده شيء ربنا –عز وجل– جعله من حقوق الإسلام، فقال –صلى الله عليه وسلم–: "ثلاث كلهن حق على المسلم"، وده اللي خلى بعض العلماء يقول طبعًا إن زيارة المريض فرض على الكفاية،

[10] صحيح الجامع



"ثلاثٌ كلهنَّ حقٌّ على كل مسلمٍ: عيادةُ المريضِ، وشهودُ الجنازةِ وتشميتُ العاطسِ إذا حمد اللهَ عزَّ وجلَّ"، ده كمان يزداد قوة الأمر بزيارة المريض، بقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "عودُوا المريضَ، واتَّبِعُوا الجنائزَ؛ تُذكِّرُكُمُ الآخِرةَ".

طبعًا أحبابي الفضل المتعلق بزيارة المريض فضل مش ممكن إنسان منا يتخيله.

منها مثلًا: ما رواه أحمد، والترمذي، أن النبي –صلى الله عليه وسلم–، يقول: "ما مِن مسلِمٍ يعودُ مُسلِمًا غدوةً، إلَّا صلَّى عليهِ سبعونَ ألفَ ملَكٍ حتَّى يُمسيَ، وإن عادَهُ عشيَّةً، إلَّا صلَّى عليهِ سبعونَ ألفَ ملَكٍ حتَّى يُصبِحَ".

ومنها: قول النبي –صلى الله عليه وسلم–، كما في صحيح مسلم، ومسند أحمد، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إنَّ المسلمَ إذا عاد أخاه المسلمَ لم يزَلْ في مَخرَفةِ الجنَّةِ حتَّى يرجِعَ"، ومخرفة الجنة يقال: خريف الجنة، أي بساتين الجنة، والمعنى: ما يجد هذا الإنسان يوم القيامة من الثواب العظيم له في الجنة، بسبب عيادة المريض.

كذلك أيضًا: قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: " خمسٌ مَن فعل واحدةً منهنَّ كان ضامنًا على اللهِ –يعني كان له من الله ضمان، إنه يدخل بهذا الضمان الجنة يوم القيامة– مَن عاد مريضًا"[11]، أول واحدة. وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–، كما عند الترمذي وابن ماجة، أنه –صلى الله عليه وسلم– قال: "مَن عادَ مريضًا، نادى مُنادٍ منَ السَّماءِ: طِبتَ، وطابَ ممشاكَ، وتبوَّأتَ مِنَ الجنَّةِ منزلًا".

كل هذه الأحاديث، اللي تارة تأتي بتقول "ثلاث حق على مسلم"، أو "خمس" كما في رواية، أو "سبع"، وتارة تأتي على سبيل الأمر من رسول الله "عودوا المريض"، وفي رواية: " أَطْعِمُوا الجائِعَ، وعُودُوا المَرِيضَ".

الأمر التالت أنها فيها ضمان من الله –عز وجل– بدخول الجنة، أو أنها السبب لدخول الجنة يوم القيامة أو أنها سبب لصلاة الملائكة، وصلاة الملائكة على العباد كما تعلمون أنها استغفار الملائكة للعباد، ده يدفع الناس دفع إلى عيادة المرضى.

وهنا يتبقى معانا جزء أخير، الشيخ ذكره معنا أثناء الكلام، ألا وهي جزئية آداب الزيارة:

لما أزور المريض ماذا أصنع؟ الشيخ ذكر لنا عدة آداب مهمة جدًّا، متعلقة بهذه الزيارة، جعل أول شيء منها هي الدعاء للإنسان المريض، أنا روحت النهاردة لواحد مريض، أدعي له بالشفاء، وإن ربنا –سبحانه وتعالى– يشفيه ويعافيه، والشيخ ذكر عندنا باب كامل، قال: "باب دعاء العائد للمريض بالشفاء"، دعاء العائد: اللي هو بيزور للمريض بالشفاء، وذكر فيه حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دخل على سعد يعوده بمكة، فبكى، فقال "ما يبكيك؟" قال: خشيت أن أموت بالأرض التي هاجرت منها كما مات سعد، فقال –صلى الله عليه وسلم–: "اللهم اشف سعدًا" ثلاث مرات، فقال: يا رسول الله: إن لي مال كثير، يرثني ابنتي، فأوصي بمالي كله، فقال: "لا"، قال: فبالثلثين؟ قال: "لا"، قال: فبالنصف؟ قال: "لا"، قال: فالثلث؟ قال: "الثلث، والثلث كثير".

ده فيه فائدتين مهمين جدًّا في زيارة المرضى:

الفائدة الأولى: هي دعاء العائد للمريض بالشفاء، إن ربنا –سبحانه وتعالى– يشفيه.

الأمر التاني: هي إن إحنا نعلم المريض بعضًا من الأخطاء التي قد يقع فيها، فيه بعض الأخطاء ممكن يقع فيها المريض، نعلمه زي ما النبي –صلى الله عليه وسلم– علم سعد.

كذلك، أيضًا في حديث رقم (٥٢٦) "ما يقول للمريض" ده باب تاني، وذكر فيها حديث ابن عباس، "أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دَخَلَ علَى أعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، قَالَ: وكانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ إذَا دَخَلَ علَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ: لا بَأْسَ، طَهُورٌ إنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ له: لا بَأْسَ،

[11] صحيح الجامع



طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: قُلتَ: طَهُورٌ؟ كَلَّا، بَلْ هي حُمَّى تَفُورُ –أَوْ تَثُورُ– علَى شَيخٍ كَبِيرٍ، تُزِيرُهُ القُبُورَ، فَقَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: فَنَعَمْ إذنْ".

الشاهد: قول النبي –صلى الله عليه وسلم– للمريض "لا بَأْسَ، طَهُورٌ"، ما كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يزور أحدًا إلا قال: "لا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، يعني إيه "طهور إن شاء الله"، إحنا بنقولها وما منعرفهاش! "طهور إن شاء الله" يعني إيه؟ يعني هذا المرض يكون طهورًا لك، غاسلًا لك، لكل ذنوبك ومعاصيك.

ومن الدعاء أيضًا الرقية الشرعية، ودي نقطة مهمة جدًّا، يعني ومن الدعاء إن أنا أرقيه، وده ورد طبعًا في أحاديث كثيرة جدًّا عن رسول الله محمد –صلى الله عليه وسلم–، أنه كان إذا دخل على مريض، بدأ النبي –صلى الله عليه وسلم– إن هو يرقيه، ويقرأ عليه بعض من آيات القرآن، وبعض من الأحاديث التي وردت في شأن الرقية.

منها مثلًا: ما عند أحمد والنسائي في "عمل اليوم والليلة"، كان النبي –صلى الله عليه وسلم– إذا دخل على مريض، قال: "أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، واشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا".

وعند أحمد، من حديث ابن عباس، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "ما مِن عبْدٍ مُسلمٍ يعودُ مريضًا لم يحضُرْ أجَلُه، فيقول سبْعَ مرَّاتٍ: أسأَلُ اللهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أنْ يشفِيَك، إلَّا عُوفِيَ".

أروح للمريض أقول له: "أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك"، سبع مرات، بقلب حاضر، بقلب مخلص، فيعافي الله –عز وجل– المريض بإذن الله –عز وجل–.

كذلك أيضًا من الأمور المهمة جدًّا اللي الشيخ ذكرها في أدب الزيارة، أنتوا عارفين يا جماعة فيه واحد مريض، فالمريض بقى يقينا مش هو اللي هيفتح لي الباب، أنا رحت أزور أخ ليا، فاللي هيفتح لي الباب مثلًا، افرضوا مثلًا إن زوجته هي اللي فتحت الباب، أو والدته هي اللي فتحت الباب، أو أخته هي اللي فتحت الباب، يقينًا يعني، لما ييجي حد يقدم أدب الضيافة، لو مفيش رجالة في البيت، اللي هتقدم أدب الضيافة، أمه، أو زوجته، أو أخته، فهنا كان من أعظم الآداب التي ينبغي علينا أن نتمسك بها هي غض النظر داخل هذا البيت، إن أنا أغض نظري داخل هذا البيت، أنا رايح أزور مريض، فماينفعش إن أنا أدوس على حرمات هذا البيت، أبدأ بقى أتلصص بعيني يمين وشمال زي ما للأسف بنرى بعض الناس بيصنعوا كده.

والشيخ ذكر باب "من كره للعائد أن ينظر إلى الفضول من البيت"، وكاره هنا بمعنى يحرم طبعًا، ودي كانت جرت عادة الفقهاء قديمًا وهو يقولون "كره" للكراهة التحريمية، فعن عبد الله بن أبي الهزيل، قال: دخل عبد الله بن مسعود على مريض يعوده، ومعه قوم، وفي البيت امرأة، فجعل الرجل ينظر إلى المرأة، فقال له عبد الله بن مسعود: لو فقأت عينيك كان خيرًا لك، يعني تخيلوا الآن برضه، يعني شوفوا –سبحان الله– إلى أي حد وصل الأدب عند السلف، مش معنى إن الإنسان ده مريض، زوجته معديه، زوجته بتفتح الباب، إن أنا أتلصص بعيني، ابن مسعود بيقول له: أنا أفقأ عينك، أحب وخير لك من إنك تتلصص بعينك الآن بهذه الصورة على الناس.

كذلك أيضًا الشيخ ذكر باب "أين يُقْعَد؟" أين يقعد بالنسبة للمريض؟ لما أخي أقعد عند المريض أقعد إزاي؟ فقال "باب أين يقعد العائد"، وذكر عن ابن عباس قال: كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذا عاد مريضًا جلس عند رأسه، ثم قال سبع مرات: "اسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يشفيك"، فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه.



يبقى من السنة، من المستحب، إن أنا أجلس عند رأسه، حتى أدعو له بهذه الدعوات. طيب ده معناه إن أنا لازم اقعد عند الرأس يعني؟! هذه هي السنة، أما إذا كانت دا بيترتب عليه تعب للمريض، لأن في بعض الأوقات مثلًا السرير مثلًا بيبقى مرفوع الرأس كده في المستشفيات مثلًا، فأنا هقعد عند رأسه أزاي، لا في هذه الحالة أجلس في المكان الذي يكون فيه راحة للمريض.

كذلك أيضًا من الآداب المتعلقة بمسألة زيارة المريض، هو التعليم، إن أنا أعلمه بعض ما كان يجهله.

من ذلك أيضًا حديث سعد بن أبي وقاص، الذي ذكرته أنا لكم الآن، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لما زار سعد، علمه ما كان من أمر الوصية.

وكذلك "أنَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دخل على شابٍّ وهو في الموتِ فقيل كيف تجِدُك قال أرجو اللهَ وأخافُ ذنوبي فقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لا يجتمعان في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ إلَّا أعطاه اللهُ ما يرجوه وأمَّنه ممَّا يخافُ"[١٢].

كذلك أيضاً النبي لما دخل على الطفل اليهودي، علمه النبي –صلى الله عليه وسلم–، ودعاه إلى الإسلام.

من الأدب أيضًا في زيارة المريض، هي تعليم المريض بعض ما كان يجهل، أعلمه إزاي يصلي؟ إذا كان يجهل الصلاة وهو نائم مريض، أعلمه أزاي الطهارة إذا كان يجهل أيضًا.

من الآداب أيضًا ودي من الآداب المهمة جدًّا في زيارة المريض، ألا أطيل الزيارة، يعني واحد تعبان، تلاقي مجموعة من الإخوة رايحين قاعدين معاه تلت أربع خمس ساعات، هذا ليس من الأدب، هذا ليس من الخلق أصلًا، لأن الأدب والخلق يحتم أن الزيارة تكون يسيرة، لما رواه الطبراني في معجمه الكبير، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "زر غبًّا تزدد حبًّا"[١٣]، زر غبًّا، من وقت لآخر، والمسافة تكون قليلة، يعني وقت الزيارة تكون قليلة، ليه؟ ما تكبسش عليه.

وكانت فيه كلمة لسفيان، كلمة جميلة جدًّا، كان يقول: "حماقة العائد أشد على المريض من مرضه، يجيئون من غير وقت، ويطيلون الجلوس"، يعني كلمة في قمة الأدب، يعني كلمة في قمة الرقي، يقول لك: "حماقة العائد" في بعض الأوقات العائد ده بيكون أحمق! بيكون غبي! امتى؟ لما يروح للمريض يعمل معاه حاجتين، يروح في غير وقت! يعني المريض يا دوبك خد حقنة الآن، وتعبان، ومش قادر، عاير ينام، أنا رايح له من غير وقت، لا، المفترض قبل ما أزور المريض، لابد إن أنا أتصل عليه، الوقت مناسب للزيارة دلوقتي! طب نيجي لك امتى؟ لو الوقت مش مناسب، فأنا بروح له فجأة، وده ليس من السنة، الوقت مناسب أزورك دلوقتي ولا لا؟ لعله يكون واحد حقنة عايز ينام، لعله كان نائم يا دوبك تعبان سهران طول الليل مش قادر ينام من الوجع، وييجي ينام فأنا أطب عليه وهو نايم؟ لا ما ينفعش! بل النهاردة المسألة أصبحت في منتهى السهولة، اتصل بالتليفون على البيت، ممكن آجي أزور دلوقتي، ولا فيه مشكلة دلوقتي!

الأمر التاني: إطالة الجلوس، يا جماعة ليس من الأدب إن واحد النهاردة مريض أقعد معاه تلت أربع ساعات! ما ينفعش، الزيارة تكون يسيرة.

فاختيار الوقت، وده اللي أهل العلم قالوا إن اختيار الوقت سنة مهمة جدًّا جدًّا، وأدب من الآداب المتعلقة بعيادة المريض، وقالوا هو يختلف باختلاف الأحوال والظروف والقرائن.

وأنا عندي كلمة يسيرة كده، امتى نختار وقت زيارة المريض؟

هقول: الأيسر على المريض هو ده وقت الزيارة.

---

[١٢] صحيح الترمذي

[١٣] حسنه الألباني



بعد ذلك الشيخ يقول: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يجلس عند رأسه، ثم يقول سبع مرات: "أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يشفيك".

وبكده نكون بفضل الله –تبارك وتعالى– لخصنا مجمل ما يتعلق بآداب عيادة المريض، من خلال كتاب الإمام العَلَمْ، الإمام الرباني محمد بن إسماعيل البخاري.

اسأل الله –سبحانه وتعالى–، أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، ويجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.